الترميز الدولي / ISSN (P) :2710-2653
ISSN (E) :2960-253X /
رقم الايداع الوطني / 2375 /2019

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٦/٧/٧
تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٦/٨/١٦
تاريخ النشر : ٢٠٢٦/٩/30

الصدمة الرقمية وتحولات السلوك السياسي الدولي

The Digital Shock and Shifts in International Political Behavior

أ.م.د. علي حسن كاظم العصامي
Assist.prof.Dr.Ali Hussein Kadhim
كلية الامام الكاظم (ع) / قسم العلوم السياسية
Imam Al-Kadhim College (PBUH) / Department of Political Science
Ali.hussain@iku.edu.iq

IRAQI
Academic Scientific Journals
https://iasj.rdd.eedu.iq/journals/journal/view/229

الملخص

لقد ساهمت المعرفة في احداث نقلات بمختلف المراحل التي مرت بها الحضارة البشرية، وتعد الصدمة الرقمية مرحلة من مراحل تلك التحولات التي تشهدها الحضارة البشرية، يحاول هذا البحث ان يسلط الضوء على التحولات في السلوك الدولي وسلوك الفواعل الدولية وكيفية التعاطي مع ظاهرة الرقمنة التي بدأت تساهم في انتاج أنماط ذلك السلوك وتتبع هذا الانتقال من الأنماط التقليدية الى الجديدة وفهم ابعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية.

الكلمات المفتاحية: الصدمة الرقمية، البيانات الضخمة، الفقاعة الرقمية، العملات المشفرة، امن المعلومات، السيادة الرقمية

Abstract

Knowledge has played a pivotal role in driving transformative shifts across the various stages of human civilization, "digital shock" representing one such phase of this ongoing evolution. This research aims to shed light on the transformations in international behavior and the conduct of international actors in response to the phenomenon of digitalization—a force increasingly shaping these behavioral patterns. It further seeks to trace the transition from traditional to new modes of behavior and to understand their social, economic, political, and security dimensions.

Keywords: Digital shock, big data, Digital bubble, Cryptocurrencies, cyber

security, Digital sovereignty.

مقدمة

عام ١٩٧٤ كتب الفن توفلر في في السطور الأخيرة من كتابه صدمة المستقبل "في الماضي وعبر مراحل التطور الاجتماعي المتعاقبة كان وعي الانسان يعقب الحدث اكثر مما يسبقه ولان التغيير كان بطيئا فقد استطاع ان يتكيف بلا وعي "عضويا" اما اليوم فلم يعد التكيف اللاواعي كافيا، ان الانسان قد وجه بالقدرة تعديل الوراثة، وخلق أنواع جديدة واسكان الكواكب وافناء سكان الأرض يجب ان يتحكم الان بزمام التطور ذاته وبتفاديه صدمة المستقبل عندما يركب أمواج التغيير ينبغي ان يتحكم في التطور ويصوغ الغد بما يلائم الحاجات الإنسانية" من هذا الاقتباس تتضح أهمية اختيارنا لموضوع الصدمة الرقمية وتحولات السلوك السياسي الدولي وبالتالي فإننا من خلال هذا البحث سنحاول تسليط الضوء على الاثار التي خلفتها الثورة الرقمية على السلوك الدولي وبمختلف ابعاده الاقتصادية والاجتماعية والسياسية اذ يتنازع بهذا الخصوص اتجاهان يرى الأول في الرقمنة والفضاء الالكتروني أداة لتعزيز الفجوة بين دول الشمال والجنوب وكذلك أداة لتعميق الفجوة الاقتصادية مما يمكن ان يوفر بيئة مصدرة للتوترات السياسية الدولية، وعلى اية حال أصبح التحول الرقمي حقيقة لا مهرب منها وبالتالي لابد من إيجاد افضل السبل لفهم اليات الاستفادة منها او على الأقل التكيف معها، ان الرقمنة والتحولات التكنلوجية لم تعد أداة يقتصر تأثيرها على جانب محدد من جوانب الحياة بل امتد ليشمل إعادة صياغة أنماط الحياة البشرية بما فيها السلوك السياسي الدولي

إشكالية البحث: ينطلق البحث من إشكالية مركزية تتمحور حول سؤال جوهري مفاده كيف تساهم الرقمنة في احداث تحولات في السلوك السياسي الدولي على مختلف المستويات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

فرضية البحث: يسعى البحث الى اختبار فرضية مفادها "ان التحولات الرقمية ساهمت في تعقيد الأنماط المختلفة للتفاعلات الدولية وعلى جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية مما اوجب إيجاد سبل جديدة للتكيف مع تلك الأنماط مع ضمان السيادة الوطنية وان هذا التكيف لا يتحقق الا بتوطين المعرفة "

منهجية البحث: اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التتبعي لفهم كيف ساهمت الرقمنة في انتاج أنماط سلوك مختلفة وتدويل للفعل الإنساني وماهي اثار هذه الظاهرة على مجمل السلوك الدولي.

١. الرقمنة والتحولات الاجتماعية

يشير العنوان الى قضية تخص مجتمع بعينه وبالتالي قد يراود الذهن سؤال حول ما علاقة الرقمنة وانعكاساتها الاجتماعية على ما يجري على الساحة الدولية من تحولات وهنا ينبغي القول انه لا يمكن فصل أي مجتمع عن مجريات البيئة الدولية لذا فان عملية التأثير والتأثر بين ما يجري في مجتمع ما وما يجري في الساحة الدولية لا يمكن فصلهما. وبهذا الخصوص يشير برتران بديع في كتابه زمن المذلولين باثولوجيا العلاقات الدولية " ان الحالة الاجتماعية تصبح دولية عندما يطرأ تغيير ضخم يصيب تركيب المجتمعات اذ يطلق على هذه الحالة بـ " تكتونية المجتمعات " فثورة الاتصالات الغت المسافات وحطمت الحدود وشرّعت باب

التواصل بين كل المجتمعات فأصبحت الحياة الدولية عالمية" (بديع، ٢٠١٥، صفحة ٣١)

هذا الانتقال السريع للمعلومات كان نتيجة لتدفقها السريع عبر ما عرف بوسائل التواصل الاجتماعي والتي تشير الى حالة التفاعل بين الجانبان الاجتماعي والرقمي بحيث لا يمكن اختزاله الى مجرد كيان تقني او كيان اجتماعي، لقد رسخت وسائل التواصل الاجتماعي نفسها بسرعة بوصفها وسيلة اتصال وتفاعل بين اعداد كبيرة من البشر وليس بمجرد اشخاص بارعين في استخدام التكنلوجيا ممن هم في العشرينات والثلاثينات من العمر بل أصبحت حالة عامة تشمل جميع البشر وأثارت استفسارات مهمة حول هذا الفضاء الرقمي من أهمها ان استخدامها في كثير من الأحيان يرتبط بالمكان سواء للاجتماعات العادية التي تيسرها الأجهزة المحمولة او التظاهرات السياسية الكبرى كتلك التي حدثت في عدد من البلدان العربية عام ٢٠١١ (ايفانز، ٢٠٢١، صفحة ١٢٥) وعليه فإننا نحتاج الى فهم التحول الذي أصاب ظاهرة السلطة بفعل الرقمنة باعتبارها ظاهرة اجتماعية .

أ. تبدل خصائص السلطة ومعناها باعتبارها ظاهرة اجتماعية

غالبا ما كانت تعرّف السلطة باعتبارها مجموعة سيطرة تطبق أوامرها على إقليم معين بواسطة تنظيم اداري يستخدم التهديد او اللجوء الى الاجبار المادي وعلى هذا الأساس فقد قسمت عناصر السلطة الى مادية تشمل القوة الطبيعية والقوة الاقتصادية وأخرى غير مادية تتمثل في الطاعة والهيبة والنفوذ (الاسود، ١٩٩١، الصفحات ١٣٧-١٥٧)

حيث كانت تعتمد القوة الطبيعية على العنف المادي بينما اعتمدت القوة الاقتصادية لتوظيفها في تعزيز السلطة بالمقابل كانت العوامل غير المادية تؤدي أدوار أخرى من خلال خلق الطاعة والهيبة والنفوذ عن طريق أدوات متعددة كالتنشئة السياسية والاجتماعية والتي كانت تعتمد على مصادر محددة وثابته "البيت، المدرسة، المساجد، دور العبادة...الخ"

ان ابرز التحولات التي شهدتها ظاهرة السلطة في العصر الحديث هو تراجع فاعلية القوة الطبيعية القائمة على العنف المادي لصالح أدوات أخرى فلم تعد وسائل العنف السابقة كالمدفع والرصاص والكوماندوس والطائرات والعسكر هي الوحيدة في اثبات السلطة فقد اضحى التأثير الأكبر للفكرة والمعلومات والثقافة والشاشات والاعتصامات واللاعنف والمقالات والبرامج والألعاب والفيديو والسينما والمثقف والمحرر و الصحافي والوسيلة الإعلامية أدوات اكثر فاعلية وتأثير حيث ظهر ما يعرف بالإعلام الاجتماعي كأداة تواصلية اذ يمكن الوصول الى اكبر كم ممكن من المستهدفين من الافراد العاديين بطريقة تفاعلية تلقائية وبدون أي رقابة ويكون تأثيرها على المتلقي اكبر لأنه يتفاعل مع المعلومات الواردة صوتا وصورة ونصا بطريقة عاطفية حسية كما يمكن لأي شخص المساهمة في صناعته وليس تشكيله باعتبار ان التشكيل عملية تلقائية طبيعية وليس وضعية (حمدان، ٢٠١٣، الصفحات ١٠٧-١٠٨)

من جانب اخر فان الدراسات الحديثة اثبتت انه حتى عملية التشكيل لم تعد تلقائية كما كانت عليها عندما عرضها هابرماس في نظرية المجال العام بل باتت تخضع في العصر الرقمي الى ما يعرف بالفقاعة الرقمية او فقاعة التصفية ففي

عصر الهيمنة الرقمية تتسلل ظاهرة فقاعات المعلومات الى تفاصيل الحياة الاجتماعية اليومية اذ يجد الافراد انفسهم محصورين داخل دوائر ضيقة من المحتوى الذي بات يشكل معتقداتهم وآرائهم اليومية من خلل خوارزميات ذكية تصمم المحتوى بناء على تفضيلات المستخدم وبالرغم من ما تقدمه من راحه وتخصص بدأت هذه الآلية تسهم في تعزيز التحيزات الفكرية وعزل الافراد عن وجهات النظر المختلفة مما يقلل من قدرتهم على فهم أوسع للواقع واتخاذ قرارات متوازنة (البناو، ٢٠٢٥)

وفي هذا الاطار تظهر نظرية فقاعة المعلومات التي قدمها الباحث ايلي باريزر للإشارة الى الحالة التي يتعرض فيها المستخدمون الى لمحتوى يتوافق مع اهتماماتهم السابقة نتيجة اليات التخصيص الخوارزمي التي تعتمدها المنصات الرقمية وقد اثارت هذه الظاهرة اهتماما واسعا في دراسات اليات تشكيل الرأي العام اذ لم تعد منصات التواصل الاجتماعي مجرد فضاءات رقمية لبناء المعلومات والتعبير عن الآراء بل تحولت الى بيئات اتصالية معقدة تسهم بشكل أساسي في تشكيل تحيزات وتوجهات الرأي العام بل حتى في إعادة تشكيل المجال العام (البكاي، صفحة ٣٠٢)

وفي هذا الخصوص لابد من ان نذكر بعض التجارب الناجحة لدول استطاعت ان توفر بيئة رقمية محلية آمنة من خلال استخدام تطبيقات محلية للتواصل الاجتماعي، محركات بحث محلية بميزات متقدمة، بنية تحتية رقمية ووسائل حماية وامن رقمي اجتماعي كما هو الحال في الدنمارك وكوريا الجنوبية وفنلندا وسنغافورة

وغيرهم بحسب المؤشرات المعتمدة لما يتعلق بجودة الحياة الرقمية (العربية، ٢٠٢٣)

وعليه ومن خلال ما تم عرضه يتضح ان ظاهرة السلطة باتت أكثر تعقيدا في عصر الرقمنة اذ ان التحكم في العقول وتشكيل التوجهات هو الميزة الأبرز حيث بات التحكم في تشكيل وتوجيه السلوك الاجتماعي والسياسي العنصر الأبرز والمؤثر الأكبر في تعزيز السلطة ولم تعد ظاهرة العنف وامتلاكها مفتاح تشكيل السلطة، بل أصبح من الممكن إدارة توجهات المجتمع عبر الحدود وإنتاج أنماط سلوك تتماشى مع توجهات الفاعل المسيطر.

ب. الرقمنة وتحولات المجتمع الدولي

على المستوى الدولي لم تكن الرقمنة حدثا عارضا بل كان عاملا جوهريا في احداث جملة من التحولات في السلوك الدولي ولكن قبل الخوض في تلك التحولات علينا أولا ان نفهم المقصود في المجتمع الدولي فوفقا لتعريف هدلي بل يتشكل المجتمع الدولي عندما تقوم مجموعة من الدول التي تدرك وجود مصالح مشتركة وقيم مشتركة معينة بينها بتشكيل مجتمع بمعنى انها ترى نفسها ملزمة بمجموعة من القواعد المشتركة في علاقاتها ببعضها البعض وتتشارك فيما بينها اعمال المؤسسات المشتركة (دان، ٢٠١٦، صفحة ٣٥٤)

وفقا لهذه الرؤية فان النظام يمكن ان يوجد بين دول لا تشعر انها تنتمي الى حضارة مشتركة بل يكفي الاحتياج البرجماتي للتعايش كي ينتج ما يطلق عليه الثقافة الدبلوماسية، لقد كانت فكرة المجتمع الدولي تقوم على ان الدول تستطيع الاستفادة من منافع المجتمع دون ان تتنازل عن سلطات سيادية لسلطة اعلى حيث

اكدت مقاربتهم ان الدول تلتزم في العادة بتقييد استخدام القوة واحترام الملكية والحفاظ على الثقة والحفاظ على علاقاتها مع بعضها البعض (لنكليتر، ٢٠١٤، صفحة ١٤٤)

ان ما يميز فكرة المجتمع الدولي التقليدية هو اخذها في الاعتبار الدول ذات السيادة باعتبارها الفواعل الوحيدة ولم تعطي أي اهتمام اذ لم تعد الدول كما في السابق حاويات القوة وبالتالي لا تنفرد بالسيطرة والتحكم في العلاقات العابرة للحدود اذ ان القوة في العصر الرقمي باتت منتشرة بين عدد كبير من اللاعبين او الفواعل وعلى عدة مستويات فهنالك مستوى دون وطني من حكم محلي وتجارة محلية والذي يتفاعل مع جماعات محلية أخرى وهنالك مستوى فوق وطني من منظمات دولية وشركات متجاوزة للوطنية ومنظمات غير حكومية (سورنسن، ٢٠٢٠، صفحة ١٣٠) وحتى الافراد الذين بدأت تفاعلاتهم تشكل جانبا مهما من النشاط التفاعلي للمجتمع الدولي حتى ان بعض الدول بدأت تشعر بفقدان السيطرة على سيادتها وابرز مثال على ذلك ان قوائم العقوبات الامريكية لا تكاد تخلو من اعضاء جدد من كيانات وافراد وشركات منذ بداية القرن الحادي والعشرين مما يؤكد حقيقة حجم الدور الذي تقوم به تلك الفواعل من أدوار داخل المجتمع الدولي واكثر من ذلك أصبحت تفاعلات تلك الكيانات عاملا محوريا في تحديد طبيعة العلاقات بين الدول سواء اكانت تجارية او ثقافية او سياسية او امنية.

٢ – الرقمنة والتحولات الاقتصادية

لقد ساهمت الرقمنة في احداث تحولات كبيرة على مستوى السلوك الاقتصادي الدولي وقد تراوحت تلك الاثار بين الجوانب الإيجابية من خلال مساهمتها في

اختصار الزمن ومضاعفة الإنتاج والابتكار والتنمية...الخ الى بعض الاثار التي سببتها في تحجيم الرقابة على حركة المال والتمويل والاستثمار الدولي ولفهم تلك الاثار سوف نتناول هذا القسم من بحثنا في جزئين الأول نتناول الرقمنة والسياسة النقدية والتمويل الدولي بينما نتناول في الجزء الثاني الرقمنة والتنمية والإنتاج

أ. الرقمنة والسياسة النقدية والتمويل الدولي

ساهمت التحولات الرقمية في احداث نقلة نوعية من خلال أثرها في زيادة التداخل بين الاقتصاد والسلطة حيث ساهمت الى جانب الذكاء الاصطناعي في إعادة صياغة أساليب التداول المالي اذ أصبحت السرعة الفائقة في نقل الأموال جزءا من معادلة التأثير والنفوذ فقد أصبحت الهيمنة الاقتصادية مرهونة بالسيطرة على مسارات الأموال وهي تتحرك في الزمن الفعلي كما وصعّدت العملات الرقمية سواء تلك الصادرة عن البنوك المركزية او المنصات اللامركزية لتفرض تحديا مباشراً على البنى النقدية التقليدية من خلال تقليص دور الوسطاء وتغيير أنماط السيطرة على اصدار النقود وخلق فضاءات مالية تعمل خارج الحدود التنظيمية المألوفة وبهذا التحول بدأت موازين القوة النقدية تميل نحو من يمتلك القدرة النقدية على إدارة الأنظمة الرقمية الجديدة لا من يحتكر أدوات النقد التقليدية (الخوري، ٢٠٢٦، صفحة ١)

ولفهم التحولات التمويلية لابد في البداية من معرفة ماهية العملات المشفرة وكيف تساهم في عمليات التمويل الحديثة حيث تصنف على انها أدوات مالية رقمية يتم

تداولها وتسجل في حسابات عامة تسمى سلاسل الكتل "block chain"* ولا تعتمد على وسطاء مركزيين كالبنوك التجارية والبنوك المركزية للتسوية والمقاصة كما ويسمح هذا النظام للأشخاص والمؤسسات التي تقف ورائهم بالحفاظ على هوياتهم مجهولة حيث صممت العملات المشفرة كوسيلة للدفع وتستخدم اليوم في المقام الأول للاستثمار، تهدف العملات المشفرة الى استبدال المبدأ الأساسي للنظام المالي الحالي وهو الثقة بمبدأ لا يتطلبها اذ تتطلب أنظمة الدفع والخدمات المصرفية التقليدية من اجل خلق الثقة العديد من التدابير الوقائية المصممة لتعزيز الثقة فيها من خلال إجراءات منهجية ومتطلبات رأس المال والاشراف المستمر وتأمين الودائع بينما يوفر نظام العملات المشفرة سلسلة من الحوافز المنفصلة والمتزامنة لمختلف المشاركين في النظام حيث كانت العملات المشفرة في البداية متاحة فقط من خلال سلاسل الكتل الأقل سهولة في الاستخدام مع ذلك فقد أنشأت الشركات تطبيقات وأنظمة اكثر سهولة في الاستخدام تسمح للأفراد والشركات بالاحتفاظ بعملاتهم المشفرة في حسابات او محافظ (يونس، ٢٠٢٥، صفحة ٣٠٣) وعلى الرغم من المزايا التي توفرها العملات المشفرة الا ان البعض يرى ان المخاطر المرتبطة ببعض الأصول المشفرة تبقى قائمة ولكن بالرغم من ذلك يرى أصحاب هذا الاتجاه ان قواعد اصدار هذه العملات سوف تتحسن خصوصا مع سن قواعد ذكية تعتمد على الذكاء الاصطناعي وبالتالي يمكن ان تصبح قيمتها

* سلاسل الكتل هي قاعدة بيانات رقمية عالية التشفير موزعة وآمنة تخزن البيانات في مجموعة وتسمى كتلا وتربط كل كتلة جديدة بالتي قبلها لتشكل سلسلة غير قابلة للتعديل ابرز استخداماتها في تتبع سلاسل الامداد لمسار المنتجات من المصنع الى المستهلك.

أكثر استقرارا وقد بدأت عملات مستقرة تظهر بالفعل بعضها مربوط بعملات ورقية ائتمانية قائمة (هي، ٢٠١٨، صفحة ١٤)

من جانب اخر فقد تحولت البيانات الضخمة الى مادة خام للقوة اذ تستخدم التحليلات المتقدمة في توجيه قرارات الاستثمار وإعادة صياغة أساليب إدارة المخاطر فيما انتقلت الخوارزميات الى موقع الفاعل الخفي في تقرير مصير الأسواق وتحديد اتجاهاتها ومع توسع الرقمنة أصبحت شركات التكنلوجيا الكبرى طرفا سياسيا بقدر ما هي طرف اقتصادي يتحكم في تدفقات المعلومات وتؤثر في السلوك الاستهلاكي والاقتصادي على المستوى العالمي (الخوري، ٢٠٢٦، صفحة ٢)

وعلى هذا الأساس فانه على الرغم من مزايا التمويل التي توفرها الرقمنة الا انها يمكن ان تتحول أداة من ادوات غسيل الأموال وتمويل العمليات المشبوهة وبالتالي يمكن ان تمثل خرقا للسيادة الاقتصادية للدولة مما يضيف أعباء على الدول من جانب اخر ممكن ان توظف الرقمنة كأسلوب لتحقيق الهيمنة وكسر إرادة الدولة كما حدث في أنماط العقوبات التي تفرضها الولايات المتحدة على الدول والكيانات المخالفة لتوجهاتها.

ب. الرقمنة والإنتاج والتنمية

يعتبر الإنتاج العنصر الأساسي في عمليات التنمية الاقتصادية لدى الدول وبالتالي لا يمكن تحقيق عوائد الإنتاجية من دون توظيف الجوانب التقنية والرقمية حيث ان تبني ثقافة الابتكار وتشجيع التكيف السريع مع ديناميات السوق المتغيرة لذا فان المزايا التي بدأت توفرها الآليات التكنلوجية الحديثة كالرقمنة والذكاء الاصطناعي

في مواكبة تلك الديناميات اذ بدأت تحقق نتائج كبيرة وتتجلى القوة الثورية لتلك الابتكارات في المزايا التي من الممكن ان يقدمها الذكاء الاصطناعي التوليدي (بياوي، ٢٠٢٦)

ويساهم التحول الرقمي في تحسين جودة الخدمات وزيادة الإنتاج حيث يساهم في تبسيط الإجراءات ويدعم اتخاذ القرارات المبنية على البيانات مما يساهم في تعزيز التنمية خصوصا في الدول النامية اذ يساهم في تعزيز التنظيم الداخلي وزيادة الإنتاجية واستخدام تطبيقات إدارة المهام والأنظمة السحابية (الموسوي، ٢٠٢٥، صفحة ٤٦٣)

في مقابل كل تلك المزايا تبقى عمليات الإنتاج في الدول النامية محكومة بمجموعة من المشكلات أبرزها نقص البنية التحتية الرقمية وعدم كفاية الوصول الى الانترنت وضعف الأطر التنظيمية ومخاطر أمن المعلومات ونقص الكفاءات في القوى العاملة (shaylaja, 2025, p. 135)

وبالتالي فان اغلب المؤسسات الاقتصادية بفعل عمليات التحول الرقمي باتت مجبرة على تبني الرقمنة واعتماد وسائل الإنتاج الحديثة لمواكبة التطور دون الالتفات الى مدى موائمة تلك التقنيات مع طبيعة المنتجات فضلا عن الإمكانيات او الخبرات التي تمتلكها على ارض الواقع الى جانب ما قد تخلفه من زيادة في معدلات البطالة مما قد يسهم في تراجع معدلات النمو بشكل عام.

٣- الرقمنة والتحولات السياسية والأمنية

لقد ساهمت الرقمنة في إيجاد فضاءاً جديداً للتفاعلات السياسية والاستراتيجية والأمنية هذا الفضاء جلب معه انماطا جديدة من السلوك السياسي والأمني تجاه

القضايا المستحدثة وعليه فإننا سنتناول في هذا الجزء من البحث الرقمنة والتحولات الإستراتيجية والرقمنة والتحولات الأمنية.

أ. الرقمنة والتحولات الاستراتيجية

لقد اعتمد البرنامج الإنمائي في خطته الاستراتيجية لعام ٢٠٢٦-٢٠٢٩ التحول الرقمي والتحول في استخدام الذكاء الاصطناعي كأحد العوامل المسرعة في تحقيق الأهداف الاستراتيجية لتحقيق التنمية البشرية على كوكب الأرض (برنامج الامم المتحدة الانمائي، ٢٠٢٥، صفحة ٥) هذا الاهتمام لم يأت من فراغ حيث بات الكم الهائل من البيانات التي يتم انتاجها عبر التفاعل اليومي للأفراد مع المنتجات الرقمية للثورة الصناعية الرابعة (وسائل التواصل الاجتماعي، الهواتف المحمولة، برامج الاتصالات التكنلوجية، انترنت الأشياء وغيرها) موردا معلوماتيا ومعرفيا بدأ يسمح على نحو غير مسبوق بفهم خرائط واتجاهات السلوك الإنساني في المجتمعات ويعيد في ذات الوقت تشكيل توجهات الافراد والجماعات وحتى الدول تجاه واقعهم الفكري والمادي وبالتالي بات هذا المورد يمثل مدخلا مؤثرا في دراسة وتفسير الظواهر الإنسانية ومجالا لممارسة القوة بين الدول كون تلك البيانات تتدفق في حركتها وتفاعلاتها عبر الحدود بين الدول وبالتالي فان ما بات يعرف بـ "ثورة البيانات" طرح تحديا جديدا امام علماء السياسة والعلاقات الدولية في دراسة وبحث دور تلك البيانات في تشكيل معالم السلوك للظاهرة السياسية والدولية (حنفي، ٢٠٢٠، صفحة ٣)

لقد ساعد الفضاء الرقمي في تدعيم الهيمنة الرقمية وتغيير الخريطة الادراكية للدولة المستهدفة وتغيير رؤيتها لمصالحها الذاتية وهو ما كان له بصمة مميزة في بيان

كيفية تأثير الفضاء الرقمي على استخدام القوة الرقمية عبر ادواتها المختلفة في الصراع الدولي وحتى في التعاون والتنافس الدوليين، لقد حلت الهيمنة الرقمية محل الاشكال الأخرى للهيمنة واصبح لها ابعادها المختلفة كدورها الثقافي في نقل القيم الغربية الى العالم في مواجهة القيم المحلية وفيما يتعلق بحجم التدفق الدولي للمعلومات والتي الى جانب تأثيرها الاقتصادي تمتلك تأثير معنوي يتعلق بالقدرة على احتلال العقول وهو اخطر بكثير من احتلال الأرض من خلال اختراق المجتمعات وتقوية روابط داخلية لها ارتباطات متحالفة او متعاطفة مع قوى خارجية، لقد أتاح الفضاء الرقمي آليات جديدة للهيمنة عبر فرض هيمن اقتصادية وثقافية واجتماعية وعسكرية من خلال القدرة على احتكار عمليات تدفق المعلومات والاستحواذ على مصادر القوة بشقيها الناعم والصلب (الصادق، ٢٠١٨، صفحة ١٦٠)

وتكمن أهمية السيطرة على البيانات كما يطلق عليها البعض بـ " بترول العصر" فعلى سبيل المثال يقول ايريك شميت* " اننا واثقون بان المواقع العاملة على غرار موقع غوغل تمارس سلطات لا يستطيع الكثير من الافراد إدراك مداه وتفرض هذه الحقيقة على المسؤولين عن ادارتها وعلى مالكيها ومستخدميها التزامات إضافية" (نوفاك، ٢٠١٧، صفحة ٩)

وعلى هذا الأساس يتيح الفهم والتحكم في البيانات الضخمة وتعقيدها إضافة الى القدرة على توظيفها تفسير التفاعلات الدولية في مجال الصراع على القوة بفعل حجمها وتنوعها ومدى دقتها وسرعة انشائها وجمعها وتحليلها حيث تقدم هذه

* مهندس برامجيات والمدير التنفيذي لشركة غوغل

البيانات الضخمة معلومات مهمة للدولة بغرض دراسة المجتمعات من حيث النظم السياسية والثقافية، الدين والتقاليد، التمكن من المعلومات الكافية التي تتيح لها الميزة النوعية في الصراع على القوة مع باقي الدول كما يتم استخدام هذه البيانات الضخمة في مراقبة ومعرفة وضبط السكان وقد تم على سبيل المثال استخدام تحليل المشاعر عن طريق تغريدات تويتر للتنبؤ بالأزمات الاقتصادية بيد ان هذا الاستخدام لأغراض سلمية ظاهرية لا يلغي الجانب المصلحي المرتبط باستغلال البيانات الضخمة كأحد عناصر قوة المعرفة في إدارة الصراع على القوة في العلاقات الدولية وهو امر يتطلب من الدول القدرة على تفكيك تلك البيانات وتحويلها الى قوة من خلال أربعة مراحل الأولى جمع البيانات والثانية هيكلة البيانات وتحليل البيانات وأخيرا تحويل البيانات الى أداة قوة (السلامي، ٢٠٢٠، صفحة ٢٣)

وفي هذا السياق تعمل الدول المتقدمة على توظيف شركاتها في هذا المجال على سبيل المثال نجد غوغل تكسب اكثر من ثمانين في المئة من دخلها من جمع وفهرسة وتخزين المعلومات وذلك من اجل ان تخلق لنفسها صورة عن شخصية أصحاب هذه المعلومات وللتعرف على اهتماماتهم والتنبؤ بسلوكهم وبيع هذا كله الى الزبائن من ارباب الإعلانات من ناحية ولأطراف أخرى(قد تكون امنية) أيضا وفي المحصلة النهائية تنتهج غوغل أساليب مطابقة من الناحية العملية للأساليب الدارجة لدى وكالة الامن القومي الامريكية او لدى وكالة الاستخبارات البريطانية (نوفاك، ٢٠١٧، الصفحات ١٩٦-١٩٧)

ب. الرقمنة والتحولات الأمنية

يعتبر الفضاء الرقمي مجالا مفتوحاً " منتفي السيادة" وبالتالي فهو من المصادر الجديدة للصراع الدولي باعتبار إن جميع أجهزة الحكومات الالكترونية معرضة للعديد من الاخطار الداخلية والخارجية لأسباب ودوافع مختلفة، ولا يختلف الخطر في تأثيره على الأجهزة الأمنية او العسكرية او الاقتصادية فالكل معرض للعبث والتدمير بسبب ما تمتلكه الدول من تقنيات الكترونية حديثة تساعدها على اختراق جميع الأنظمة من اجل استهدافها او تدميرها مما ينعكس سلبا على الأمن القومي للدول مما دفعها الى إعادة التفكير في مفهوم الامن القومي والذي يهتم بحماية قيم المجتمع الأساسية وابعاد مصادر التهديد عنه (الربيعي، ٢٠٢٢، صفحة ٢٣٠)

ان ابرز ما يميز التهديدات الرقمية هي انها منخفضة التكلفة وسهلة اللجوء اليها اذ لا يتطلب عددا كبيرا من العسكريين او المقاتلين او الاعتدة والأسلحة بل يكفي لتنفيذها شخص او مجموعة اشخاص ممن لديهم الخبرة والقدرة على توظيف التكنلوجيا ومعرفة في ثغرات الأنظمة الرقمية مما يخلق مصدر قلق للدول، لقد أدى هذا التحول في مصادر التهديد الى إعادة تعريف مفهوم الامن القومي بالنسبة للدول مما دفعها الى تطوير استراتيجيتها وقدراتها في الدفاع والهجوم فعلى سبيل المثال أنشأت وزارة الدفاع الامريكية البنتاغون في وقت مبر من عام ٢٠٠١ قوة دفاع شبكات الكومبيوتر المشتركة(JTF-CND) لتتولى مسؤولية الحماية بشقيها الدفاعي الالكتروني والهجومي الالكتروني قبل ان يتم الفصل بينهما لتتولى مهمة الهجوم وكالة الامن القومي ومهمة الدفاع وكالة الدفاع عن أنظمة المعلومات

واللتين اجتمعتا لاحقا تحت مظلة القيادة الالكترونية الامريكية عام ٢٠٠٩ (الكعود، ٢٠٢٢، صفحة ١٤) .

ان الإنتقالة الكبرى التي شهدتها البشرية عقب جائحة كورونا حيث سجلت التقارير العالمية تضاعف اعداد مستخدمي الانترنت في بداية ٢٠٢٢ الى ٤.٩٥مليار شخص (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا، ٢٠٢٣، صفحة ١٧)

ونتيجة لهذا الاستخدام المتزايد اصبح من الممكن لأي طرف متصل بشبكة تكنلوجيا الاتصال والمعلومات ان يتأثر اما بالأطراف الأخرى المتصلة على الشبكة نفسها او بطبيعة الاخطار التي تعترض هذه الشبكة وتهدد طبيعة عملها بما يكون له من انعكاسات اقتصادية وامنية وبما يؤثر على الاستقرار السياسي والاجتماعي ويعكس ذلك الايمان القوي بان الثقة والامن هما محوران مهمان لمجتمع المعلومات العالمي حيث أصبحت مسألة الدعم الفني والتشريعي وتوفير جو مناسب لانتشار واستقرار البيئة التكنلوجية من اهم مرتكزاته، اذ يهدد الاستخدام غير السلمي للفضاء الرقمي كلا من الرخاء الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي لجميع الدول التي أصبحت تعتمد على البنية التحتية الكونية للمعلومات واصبح هنالك مصلحة داخلية ودولية في الحفاظ على امن الفضاء الرقمي على اعتبار ان امن الدول جزء من الامن الجماعي والذي يمكن ان يعمل على ضمان الثقة والامن والرقابة على شبكات المعلومات والاتصال (الصادق، ٢٠١٨، صفحة ٢٢٧)

على المستوى العسكري فان التحولات التكنلوجية والرقمية ساهمت في احداث نقلة في طبيعة الحروب فلم يعد الامر مقتصرا على تجارب الذكاء الاصطناعي فحسب اذ يمكن الإشارة الى التجارب على أنظمة الطاقة الحرارية وما ستلعبه قوانين

الفيزياء في تغيير معادلات الحروب واسرارها التي لم تكشف بعد فضلا عن تقنيات الزوارق والطائرات المسيرة والعربات ذاتية القيادة فضلا عن الحروب السيبرانية والتشويش وحروب الفضاء وبالتالي فان عملية الاستحواذ على التكنلوجيا الفائقة في الاستخدامات والتطبيقات العسكرية أسست لأنماط جديدة من الحروب تضمنت مخاوف هائلة من عدم السيطرة عليها من جانب الجيوش والدول فحسب وانما أيضا من الفاعلين ما دون الدول ، وعليه يمكن القول ان سياسات الدفاع بدأت تتكيف مع التكنلوجيا الفائقة والثورة الرقمية وبالتبعية سينعكس الامر على سياسات الدفاع لمختلف القوى المؤثرة في النظام الدولي اذ يتجه اغلبهم الى سياسة الاستحواذ على هذه التكنلوجيا وتسرع من عملية اتمتة ما تمتلكه من قدرات بحسب أولويات برامج التسلح (عليبة، ٢٠٢٢، صفحة ٢٧)

الخاتمة

لم تعد الرقمنة مجرد عملية عابرة لتحويل معلومات وصيغ صورية او صوتية الى صيغ رقمية وخوارزميات بل باتت هذه العملية نمطاً تفاعليا يحكم سلوك وتوجهات النشاطات الإنسانية المختلفة ويلقي بتعقيداته على مجمل تلك النشاطات فعلى المستوى الاجتماعي اثرت الرقمنة على مختلف الظواهر الاجتماعية وانعكست حتى على إعادة رسم وتشكيل مختلف تحيزات المجتمع الفكرية وتفضيلاتهم بل استولت الظاهرة الرقمية على كل الأدوار التي كانت تمارسها وحدات التنشئة الاجتماعية في جانبها التقليدي لتخلق أدوات رقمية تصنع عالما خاصا تعزل فيها المجتمعات بفقاعات رقمية عن مصادر المعلومات وتعيد تشكيل توجهاتهم ولم يقف الامر عند هذا الجانب بل امتد ليشمل تعدد الفواعل التي تتخطى نشاطاتها الحدود وتعبر

السيادة في المجتمع الدولي حيث وضفت بعض الدول تلك الفواعل كأدوات لتحقيق الهيمنة اما على المستوى الاقتصادي ساهمت الرقمنة في ربط الاقتصاد بالسلطة وتحويل القدرات الاقتصادية الى أدوات هيمنة فضلا عن توظيف تلك الأدوات في إعادة صياغة معادلة النفوذ والتأثير كما واثرت في زيادة حجم التبادلات الدولية وتطوير أدوات التمويل مما وسع من دوائر المصالح المشتركة عبر الحدود.

لقد مارست البيانات الضخمة وتعقيداتها ضغوطا سياسية مما فرض على صناع القرار حقيقة ان القرارات السيادية تتطلب قدرة على فرض سيطرة وتحكم في تلك البيانات بل ذهب البعض الى ابعد من ذلك بعدّها " البيانات" بترول العصر لما توفره من فهم اعمق لمعطيات البيئة المحيطة والسلوك الدولي، ان انخفاض كلفة التهديدات الرقمية أعادت صياغة مفهوم الامن وكذلك اعادت تشكيل أنماط السلوك الأمني للتعاطي مع تلك الحقائق ، خلاصة القول ان المعرفة وتوطينها تمثل حجر الزاوية في فهم السلوك السياسي الدولي وإيجاد السبل المثلى للتعاطي الايجابي معه.

References

shaylaja. (2025). Digital Transformation and EconomicGrowth in Emarging Economies. journal *of marketing and social research, 2*(7).

اسراء شريف الكعود. (٢٠٢٢). التأثير السيبراني في الامن القومي للدول الفاعلة (الولايات المتحدة الامريكية)انموذجا. *مجلة العلوم السياسية، ٦٤*، ١٤. doi:10.30907/jcopolicy.vi64.628

البكاي, م. ا .(n.d.). .الخوارزميات الرقمية وفقاعات المعلومات في تشكيل النقاش العام داخل الفضاء الرقمي الليبي .*مجلة كلية الاداب* .302 .p ,(2)*26*, doi:10.26629/uzfaj.2026.28

الخوري, ع. م ,2026) .اغسطس ١ .(موازين القوة في النظام العالمي الجديد .جريدة *الوفد* . Retrieved اغسطس ١٥, ٢٠٢٦ from , https://www.alwafd.news/print.aspx?id=5927781

الربيعي, م. ح .(2022) .*الامن في النظام الدولي ما بين القوة التقليدية والقوة الجديدة* . بغداد: دار كلمة للطباعة والنشر والتوزيع.

السلامي, س .(2020) .البيانات الضخمة وتغير مفهوم "القوة"في النظام الدولي .*السياسة الدولية* , *55*(219), 23.

الصادق, ع. ع .(2018) .*الفضاء الالكتروني والعلاقات الدولية دراسة في النظرية والتطبيق* . القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

العربية .(2023) .اعلى ١٠ دول من حيث جودة الحياة الرقمية .Retrieved from https://www.alarabiya.net/aswaq/special-stories/2023/09/21/%D9%85%D8%A7-%D9%87%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%AC%D9%88%D8%AF%D8%A9-%D9%85%D9%86-%D8%AD%D9%8A%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A9-%D8%A7%D

اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا. (٢٠٢٣). *تقرير التنمية الرقمية العربية ٢.٠*. نيويورك: الامم المتحدة.

الموسوي, ز. م .(2025) .التحول الرقمي والادوار المحتمله للاسهام في تحقيق التنمية المستدامة في العراق .*مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والادارية*.(2)*21* ,

اندرو لنكليتر. (٢٠١٤). المدرسة الانجليزية. تأليف سكوت بورتشيل واخرون، *نظريات العلاقات الدولية* (صفحة ١٤٤). القاهرة: المركز القومي للترجمة.

ايمن البناو. (٢٨ يناير, ٢٠٢٥). *اندبنت عربية*. تاريخ الاسترداد ٥ اغسطس, ٢٠٢٦، من https://www.independentarabia.com/: https://www.independentarabia.com/node/616669/%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85/%D9%81%D9%82%D8%A7%D8%B9%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85%D8%A7%D8%AA-%D8%B9%D9%86%D8%AF%D9%85%D8%A7-%D8%AA%D8%B4%D9%83%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%88%D8%A7%D8%B1

برتران بديع. (٢٠١٥). *زمن المذلولين باثيولوجيا العلاقات الدولية* . بيروت: المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات .

برنامج الامم المتحدة الانمائي .(2025) .*الخطة الاستراتيجية لعام ٢٠٢٦-٢٠٢٩* .نيويورك: الامم المتحدة.

جلال بياوي. (٢٠٢٦). *كيف تؤثر الرقمنة على الانتاجية في اقتصاد اليوم؟* تم الاسترداد من البديل صحيفة وطنية يومية اخبارية: https://elbadilabc-ar.dz/?p=32827

حنفي, خ ,2020) .يناير .(القوة المتصاعدة للبيانات الضخمة..السلام نموذجا .*السياسة الدولية* , *55*, 3.

دان, ت .(2016) .المدرسة الانكليزية In .ت. د. واخرون ,*نظريات العلاقات الدولية التخصص والتنوع* .(p. 354)بيروت: المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات.

سورنسن, ي .(2020) .*اعادة النظر في النظام الدولي الجديد* .الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب.

صادق الاسود. (١٩٩١). *علم الاجتماع السياسي أسسه وابعاده*. بغداد: دار الحكمة للطباعة والنشر.

عليبة, ا ,2022) .ابريل .(تأثيرات سباقات الهيمنة التكنلوجية في سياسات الدفاع الحديثة .*السياسة الدولية*.27 .p ,*57* ,

كارين ايفانز. (٢٠٢١). اعادة النظر في المجتمع المحلي في العصر الرقمي. تأليف كيت اورتون، *علم الاجتماع الرقمي* (الصفحات ١٢٥-١٢٦). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب.

محمد حمدان. (٢٠١٣). *القوى الناعمة وادارة الصراع عن بعد*. بغداد: مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية .

نوفاك, ت. ف .(2017) .*ملف غوغل* .الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب.

هي, د ,2018) .يونيو .(السياسة النقدية في العصر الرقمي . *التمويل والتنمية* .14 .p ,

يونس, س. ج ,2025) .حزيران .(ثورة العملات الرقمية المشفرة والسياسة النقدية:تحديات وفرص .*مجلة جامعة الكوت*.303 .p ,